المطلب السابع عشر
استخدام أداة النداء في الدعاء

أولًا: تعريف الدُّعاء:

الدُّعاء: الرَّغبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ[(١)]. وقد دعا يدعو دُعاءً ودَعْوَى، والدُّعاءُ كالنِّداءِ لكن النِّداءُ قد يقال إذا قيل: (يَا) و(أَيَا) ونحو ذلك من غير أَن يُضمَّ إليه الاسم، والدُّعاءُ لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان، وقد يستعمل كلُّ واحد منهما موضع الآخر[(٢)].

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَمَثَلِ الذى يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إلا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [البقرة:١٧١]، وهو من الإنشاء الطَّلبيِّ. قال صاحب (الكليَّات) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والطَّلب إن كان بطريق العلو سواء كان عاليًا حقيقة أو لا فهو أمر[(٣)]، وإن كان على طريق السُّفل سواء كان سافلًا

---

(١) انظر: الكليَّات (ص:٤٤٧)، بصائر ذوي التَّمييز (٣٨٨/٢)، لسان العرب، مادَّة: (دعا) (٢٥٧/١٤)، المحكم والمحيط الأعظم، مادَّة: (دعو) (٣٢٥/٢)، وكذلك في (تاج العروس) (٤٦/٣٨)، القاموس المحيط (ص:١٦٥٥).

(٢) بصائر ذوي التَّمييز (٣٨٨/٢)، المفردات، للرَّاغب (٣٤٧/١).

(٣) (ما كان عاليًا حقيقة) كقول السَّيد لعبده: افعل كذا. (أو لا) كقول العبد لسيِّده: افعل كذا –حال كونه طالبًا للعلو– فخرج الدُّعاء والالتماس؛ لأنَّ الأوَّل من الأدنى، والثَّاني من المساوي، بخلاف الأمر؛ فإنَّه يشترط فيه طلب الآمر العلوَّ. والمراد بطلبه العلوَّ أن يعدَّ نفسه عاليًا بإظهار حاله العالي، وذلك بأن يكون كلامه على جهة الغلظة والقوَّة لا على جهة التَّواضع والانخفاض، فسمِّي ميله في كلامه إلى العلوِّ طلبًا له سواء كان عاليًا في نفسه أو لا. انظر: شروح تلخيص المفتاح (٣٠٩/٢–٣١٠). وفي (الكتاب): "إنَّ أصل الدُّعاء أن يكون على لفظ (الأمر)، وإنما استعظم أن يقال: أمرٌ، والأمر لمن دونك، والدُّعاء لمن فوقك، وإذا قلت: (اللهمَّ اغفر لي) فهو كلفظك إذا أمرت فقلت: (يا زيدُ أكرم عمرًا)، وكذلك إذا=

في الواقعِ أم لا فدعاء"(١). وقيل: من الأعلى أمرٌ، ومن الأدنى دعاءٌ(٢). قال ابنُ عرفة في تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]: "الطَّلب من الأدنى للأعلى سؤال عند المنطقيين ودعاء عند النَّحويين. ومنهم من قال: إن كان لله عَزَّوَجَلَّ فهو دعاء، وإن كان لغيره فهو أمر"(٣).

وقد حقَّق صاحبُ (الكليّات) أنَّ الطَّلب مع الخضوع مطلقًا ليس بدعاء، بل الدُّعاء مخصوصٌ بالطَّلب من الله عَزَّوَجَلَّ في العرف وفي جميع الاصطلاحات(٤)، كما

=عرضت فقلت: (انزل) فهو على لفظ: (اضربْ). وقد يجيء الأمر والنَّهي والدُّعاء على لفظ الخبر إذا لم يلبس، تقول: (أطالَ الله بقاءهُ) فاللَّفظُ لفظ الخبر، والمعنى دعاءٌ، ولم يلبسْ؛ لأنَّك لا تعلم أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد أطالَ بقاءهُ لا محالة، فمتى أُلبسَ شيءٌ مِنْ ذَا بالخبر لم يجز حتَّى يبينَ، فتقول على ذا: (لا يغفر اللهُ لَهُ ولا يرحمهُ)، فإن قلتَ: (لا يغفرُ الله لَهُ ويقطعُ يده) لم يجز أن تجزم (يقطع)؛ لأنَّهُ لا يشاكل الأوَّل؛ لأنَّ الأوَّل دعاءٌ عليه. وإذا جزمتَ (يقطعُ) فقد أردت: (ولا يقطعُ) الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا دعاء له فلا يتَّفق المعنى، وإذا لم يتَّفق لم يجز النَّسق. واعلم أنَّ الدُّعاء بمنزلة الأمر والنَّهي، وإنما قيل: (دعاء)؛ لأنَّه استعظم أن يقال: أمر أو نهي. وذلك قولك: اللهمَّ زيدًا فاغفر ذنبه، وزيدًا فأصلح شأنه، وعمرًا ليجزه الله خيرًا. وتقول: زيدا قطع الله يده، وزيدًا أمر الله عليه العيش؛ لأنَّ معناه معنى: (زيدًا ليقطع الله يده)". الكتاب، لسيبويه (١٣٠/٢)، وانظر: الأصول في النَّحو، لابن السَّراج، فصل من مسائل الدُّعاء والأمر والنَّهي (١٧٠/٢-١٧١).

(١) الكليَّات (ص:٥٨٢).

(٢) انظر: حاشية الجرجانيِّ على الكشاف (٦٧/١)، ابن عادل (٢٠٣/١)، البهجة في شرح التُّحفة (٢٦/١)، الجنى الدَّاني (ص:١١٠)، والتَّصريح (٢٤٦/٢). قال الأخضريُّ:

(أَمْرٌ مَعَ اسْتِعْلا وَعَكْسُهُ دُعا***وَفي التَّساوِي فَالْتِماسٌ وَقَعا)

فالأمرُ ما دلَّ على الفعل بذاته كاضرب، وقوله: (مَعَ اسْتِعْلا)، أي: مع إظهار الطَّالب العلوَّ على المطلوب منه. (وَعَكْسُهُ)، أي: طلبُ الفعلِ لا مع استعلاء، بل مع خضوع وإظهار الطَّالب الانخفاض عن المطلوب منه دعاء، وفي التَّساوي التماس، كقول بعض الخدمة لبعض: أعطني عمامتي. السلَّم بشرح الشَّيخ درويش القويسني (ص:١٧).

(٣) تفسير ابن عرفة (١٠٢/١).

(٤) يعنى أنَّ الدُّعاء مخصوصٌ بالطَّلب من الله عَزَّوَجَلَّ في (الاصطلاح الشَّرعي)، وكذلك في (الاصطلاح العرفيِّ)، وكذلك في (الاصطلاح اللُّغوي). وقد نبَّه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (مجموع الفتاوى): أنَّ "استعمال الدُّعاء في العبادة والمسألة من استعمال اللَّفظ في حقيقته الواحدة، ليس من المشترك، ولا المتواطئ، ولا=

حقَّق أنَّ الالتماس لا يستعمل إلا في مقام التَّواضع[1]، وأمَّا السُّؤال فهو أعمُّ منه..والمطلوب به إن كان ممَّا لا يمكن فهو التَّمني، وإن كان ممكنًا، فإن كان حصول أمر في ذهن الطَّالب فهو الاستفهام، وإن كان حصول أمرٍ في الخارج، فإن كان ذلك الأمرُ انتفاء فعل فهو النَّهي، وإن كان ثبوته فإن كان بأحد حروف النِّداء فهو النِّداء، وإلا فهو الأمر. والطَّلبُ فعلٌ اختياريٌّ لا يتأتَّى إلا بإرادةٍ متعلِّقةٍ بخصوصيَّة المطلوب موقوفة على امتيازه عمَّا عداه.

والطَّلب من الله عَزَّوَجَلَّ يجوزُ بلفظ الماضي والمضارع، وبصيغة الأمر على اصطلاح الأدباء، وكذا الثَّناء مثل: (صلى الله عليه وسلم) و(حمدت الله)، و(أحمده)، بخلاف: (أضرب)، و(أبيع)، والفرق إمكان الوعد فيه، وعدم إمكان الوعد في الثَّناء على الله عَزَّوَجَلَّ والطَّلب منه إلا إذا قام دليل مثل: سأستغفر الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ حرف التَّنفيس دليل الوعد"[2].

=المجاز" مجموع الفتاوى (١١/١٥). وسيأتي بيانُ قول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. والدُّعاء لَوْنٌ من الطَّلب، إلا أنَّ الطَّلب يختلف باختلاف الطَّالب والمطلوب منه، فإنْ كان الطالبُ أدنى من المطلوب منه لا يُقال له فعل أمر. بل يقال له: دعاء. وينبغي أن نلحظ ذلك أثناءَ الإعراب فإنْ كان المطلوب هو من الأدْنى إلى الأعلى فلا يقال: فِعْل أمر، بل فعلُ دعاء.

(١) (الالتماس) الطَّلب مع التَّساوي بين الآمر والمأمور في الرُّتبة. وقال العلامة التَّفتازانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في العرف إنما يطلق على ما يكون مع تواضع ما لا مع التَّساوي. وقيل: الالتماس هو اللَّفظُ الدَّالُّ على طلب الشَّيء دلالة وضعيَّة مع التَّساوي. دستور العلماء (١/١١٢)، انظر: مختصر العلامة سعد الدِّين التَّفتازاني على تلخيص المفتاح (٢/٣٠٩)، شروح تلخيص المفتاح (٢/٣٠٩–٣١٠)، التَّعريفات (ص:٥١)، التَّوقيف على مهمات التَّعاريف (ص:٨٧). والفرق بين الالتماس والطَّلب أنَّ الالتماس طلبٌ باللَّمس ثمَّ سُمِّي كلُّ طلبٍ التماسًا مجازًا. الفروق اللُّغويَّة (ص:٦٥). أقول: ومع التَّساوي في الرُّتبة فقد نبَّه العلاَّمة السَّعد وكذلك صاحب (الكليَّات) إلى أنَّ ثمَّة فرقًا بين الالتماس والسُّؤال، فالالتماسُ يستعملُ في مقام التَّواضع، والسُّؤال أعمُّ. أقول: وعلى ذلك فكلُّ التماس سؤال، وليس كلُّ سؤال التماسًا فبينهما عموم وخصوص مطلق.

(٢) الكليَّات (ص:٥٨٢).

والحاصل أنَّهم فرَّقوا بين (الأمر) و(الدُّعاء) و(الالتماس) في الصِّيغة الواحدة، وذلك بالنَّظر إلى المخاطِب –بكسر الطاء المهملة– والمخاطَب –بفتح الطاء المهملة–.

ولكن ينبغي أن نلحظ أنَّ الطَّلب من غير الله عَزَّوَجَلَّ وإن كان معه خضوعٌ وانكسارٌ وذلٌّ فليس بدعاءٍ، وإنَّما هو سؤالٌ والتماسٌ ورجاءٌ –كما تقرَّر–.

وما سبق يصدق أيضًا على (لا النَّاهية). فما كان الأعلى إلى الأدنى يسمَّى نهيًا، وبالعكس يسمَّى دعاءً، ومن المساوي يسمَّى التماسًا، وذلك مع ملاحظة الاعتبارات السَّابقة.

فقوله عَزَّوَجَلَّ مثلًا على لسان لقمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [لقمان:١٣] نهيٌ حقيقيٌّ.

وقوله عَزَّوَجَلَّ على لسان المخاطَبين:

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة:٢٨٦] ليس نهيا حقيقيًّا، وإنَّما هو دعاءٌ. وإسقاط حرف النداء يشير إلى قرب المنادَى، وأنه حاضر مع المنادِي غير غافل عنه. قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "كثرة مجيء النداء باسم الرب المقتضي للقيام بأمور العباد وإصلاحها؛ فكان العبد متعلق بمن شأنه التربية والرفق والإحسان، قائلا: يا من هو المصلح لشؤوننا على الإطلاق أتم لنا ذلك بكذا، وهو مقتضى ما يدعو به، وإنما أتى (اللهم) في مواضع قليلة، ولمعان اقتضتها الأحوال"(١).

أمَّا (الالتماسُ) فكقولكَ لصاحبكَ أو زميلكَ أو أخيكَ أو مَن يساويكَ في الرُّتبة: (لا تقلقْ يا أخي فالامتحانُ سهلٌ)، أو ما إلى ذلك من الأفعال التي تتحدَّث بها مع ندِّك؛ فإنَّها حينئذٍ تسمَّى التماسًا.

ولكن يجري ذلك الخلاف الذي لوَّحتُ إليه غير مرَّة من حيثُ كونُ الالتماس يستعملُ في مقام التَّواضع، فلا يقال عن المثال الآنف الذِّكر: إنَّه التماس.

---

(١) الموافقات (٤/٢٠٣).

وينبغي أن نميِّز بين الدُّعاء في اصطلاحه الشَّرعي، وبين الاصطلاح اللُّغوي، يقال: "دعا المؤمن ربَّه عَزَّوَجَلَّ، إذا ناداه وطلبَ منه تحقيقَ نفعٍ أو دفع ضرٍّ من أمور الدُّنيا، أو أمور الآخرة. ودعا الوثنيُّ معْبُوده، إذا ناداه، وطلب أمرًا من أمور الدُّنيا. واشتهر الدُّعاء بأحد معانيه اللُّغويَّة، وهو المعنى الدِّيني له، مع توسُّع شملَ كلَّ ذكرٍ لله عَزَّوَجَلَّ، وثناءٍ عليه بصفاته وأسمائه الحسنى؛ لأنَّ ذِكْرَ الله عَزَّوَجَلَّ يُرجَى منه رضوان الله عَزَّوَجَلَّ وثوابه، فهو ذو دلالةٍ طلبيَّةٍ، ويتضمَّن غالبًا نداء اللهِ عَزَّوَجَلَّ بحمده والثَّناء عليه.

فمن دعاء الله عَزَّوَجَلَّ ما هو مُطْلَقُ ذِكْرٍ له، ومن دعاء اللهِ عَزَّوَجَلَّ ما هو نداءٌ له بطلب يتضمَّن اسْتِجْداءَ تحقيقِ مرغوبٍ فيه من خيرات الدُّنيا، أو خيراتِ الآخرة، أو دفعِ مكروهٍ من أُمور الدُّنيا أو أمور الآخرة.

ويكون الدُّعاء بصِيغٍ كثيرةٍ تشملُ صيغَ الأمرِ والنَّهي، وصيغَ الجُمَل الخبريَّة، والأصل فيه النِّداء مع طلبٍ بصِيَغ الأَمْرِ أو النَّهْي، وكثيرًا ما يُحْذَفُ حَرْفُ النِّداء.

وكثيرًا ما يُدْعَى بصيغَةٍ خَبَرِيَّة، مثل: (رَحِمَ الله فلانًا وغَفَرَ له)، أو (يَرْحَمُ الله فُلانًا ويَغْفِر له).

والدُّعاءُ الموجَّه لله عَزَّوَجَلَّ من أجَلِّ العبادات، والدُّعاءُ وفْقَ المعنى الدِّيني الموجَّه لغير الله عَزَّوَجَلَّ شرْكٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ لا يغفرُ أن يُشْرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد:١٤].

ويقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٣- ١٤].

وقد يتأدَّب الدَّاعي مع ربِّه في طلب بعض حاجاته الدُّنيويَّة، كما فعل موسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو عند (ماءِ مَدْين)، إذْ قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

وتأدُّب رسولُ الله محمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ربِّه، وفي نفسه أن يُحوِّل الله عَزَّوَجَلَّ القبلة إلى (الكعبة المشرَّفة)، فجعل يقلِّب وجْهَهُ في السَّماء، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة:١٤٤]"[١].

وحيث إنَّ الدُّعاء قد اشتهر بمعناه الشَّرعي، والذي هو أحد معاني الدُّعاء اللُّغويَّة فإنَّ العناية والاهتمام هنا بما قد اشتهر..-وسيأتي في الفصل الذي يتناول (النِّداء) كلُّ ما يتعلَّق به-.

وقد نبَّه ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنَّ استعمالَ الدُّعاء في العبادة والمسألة من استعمال اللَّفظ في حقيقته الواحدة، ليس من المشترك[٢]، ولا المتواطئ، ولا المجاز حيث

(١) بتصرُّفٍ عن (البلاغة العربيَّة أسسها وعلومها وفنونها) (١/٢٥٥- ٢٥٧).

(٢) (المشترك) هو اللَّفظة الموضوعة لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعا أوَّلًا من حيث هما كذلك). فخرج بـ: (الوضع): ما يدلُّ على الشَّيء بالحقيقة، وعلى غيره بالمجاز، وخرج بقيد: (أوَّلًا) المنقول، وخرج بقيد (الحيثيَّة): المتواطئ فإنَّه يتناول الماهيَّات المختلفة، لكن لا من حيث هي كذلك، بل من حيث إنَّها مشتركة في معنى واحد. إرشاد الفحول (١/٥٧)، المحصول (١/٣٥٩-٣٦١)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (١/٦٠). قال الأخضري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (السُّلَّم):

(ونسبة الألفاظ للمعاني***خمسة أقسام بلا نقصان)

(تواطؤ تشاكك تخالف***والاشتراك عكسه الترادف)

قوله: (تَواطُؤٌ)..وهو القسم الأوَّل من الخمسة كالإنسان؛ فإنَّ معناه لا يختلفُ في أفراده، ويسمَّى ذلك المعنى متواطئا لتواطئ أفراده، أي: توافقها فيه؛ فإنَّ أفراد الإنسان كلَّها متوافقةٌ في معناه من الحيوانيّة والنَّاطقيّة، وإنَّما الاختلافُ بينهما بعوارضٍ خارجةٍ كالبياض والسَّواد والطُّول والقصر. فإن كان معناه مختلفًا في أفراده كالنُّور؛ فإنَّ معناه في الشَّمس أقوى منه في القمر. وكالبياض؛ فإنَّ معناه في العاج أقوى منه في الثَّوب، فالنِّسبة بينه وبين أفراده تشاككٌ. ويقال للمعنى مشكك؛ لأنَّ النَّاظر إذا نظر في الأفراد باعتبار أصل المعنى ظنَّه متواطئًا، وإذا نظر باعتبار التَّفاوت ظنَّه مشتركًا فحصل له التَّشكك. ويسمَّى اللَّفظ متواطئا كمعناه، وفي الثَّاني مشككًا كمعناه. وإذا نظر بين معنى اللَّفظ وبين لفظ آخر فإن لم يصدق أحدهما على شيءٍ مما يصدقُ عليه الآخر، فالنِّسبة بينهما تخالف، أي: تباين، كالإنسان والفرس=

قال: كلُّ دعاءٍ مسألة متضمِّن لدعاء العبادة. وعلى هذا فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] يتناولُ نوعي الدُّعاء. وبكلٍّ منهما فُسِّرتْ الآية. قيل: أعطيه إذا سألني. وقيل: أثيبه إذا عبدني. والقولان متلازمان. وليس هذا من استعمال اللَّفظ المشترك في معنييه كليهما أو استعمال اللَّفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمِّنةِ للأمرين جميعًا. فتأمَّلْه فإنَّه موضوعٌ عظيمُ النفع، وقلَّ ما يفطن له[1].

وهو يعني أنَّ العبارة الواحدة تطلق إطلاقًا حقيقيًّا على جميع الحقائق فتكون حقيقة (شرعيَّة) و(لغويَّة) و(عرفيَّة)[2]، ولا يكون ذلك الإطلاقُ من المشترك ولا من المتواطئ ولا من المجاز.

وقد فُسِّر قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ

=..واللَّفظ إن تعدد معناه كعين الباصرة والجارية فالنِّسبة بينه وبين ما له من المعاني الاشتراك؛ لاشتراك المعنيين في اللَّفظ الواحد. وإن تعدَّد المعنى كالإنسان والبشر فالنِّسبة بين اللَّفظين التَّرادف..انظر: (شرح الشَّيخ درويش القويسني على السُّلَّم المنورق) (ص:١٧).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٥)، بدائع الفوائد (٣/٥١٤).

(٢) (الحقيقة اللُّغويَّة) وهو ما وضعها واضع اللُّغة، كالدابَّة لكلِّ ما دبَّ على وجه الأرض، والصَّلاة للدُّعاء..، والحقيقة الشَّرعيَّة وهي ما وصفها الشَّارع، كالصَّلاة نقلها الشَّارع من الدُّعاء للعبادة المخصوصة، وهي الأقوال والأفعال المعلومة المفتتحة بالتَّكبير المختتمة بالتَّسليم، فتحمل في كلام أهل الشَّرع على ذلك. والعرفيَّة الخاصَّة، وهي ما وضعها أهل عرف خاصٍّ، وهم طائفة مخصوصة منسوبون لحرفة كالنَّحويين نقلوا الفعل مثلًا من الأمر والشَّأن للفظ الدَّالِّ على معنى في نفسه مقترنٍ بأحدِ الأزمنة الثَّلاثة لاشتمال اللَّفظ المذكور على الأمر والشَّأن. والعرفيَّة العامَّة وهي ما وضعها أهل العرفِ العامِّ، أي: ما كان النَّاقل لها من جميع الطَّوائف ككونه داخلًا في جملة أهل البلد بحيث لا يتوقَّف على أمر يضبط أهلها، كالدَّابَّةِ نقلها العرف العامِّ من كلِّ ما يدبُّ على الأرض وخصَّها بذات الحوافر..الفرس والحمار والبغل، وأهل (العراق) بالفرس، وأهل (مصر) بالحمار. ولا يشترط العلم بشخص النَّاقل في هذه الثَّلاثة الأخيرة. انظر: الفروق (١/٣١٣)، الأشباه والنَّظائر، لابن نجيم (ص:٩٣)، نهاية السُّول (١/٢٤٦)، الأصول من علم الأصول (ص:٢٠)، المعتمد في أصول الفقه (٢/٤٠٥)...الخ.

﴿٥٦﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦]، بدعاء المسألة، ودعاء العبادة. "فهاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدُّعاء، دعاء العبادة، ودعاء المسألة؛ فإن الدُّعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان؛ فإنَّ دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الدَّاعي، وطلب كشف ما يضرُّه أو دفعه، وكلُّ من يملك الضُّر والنَّفع فإنَّه هو المعبود حقًّا، والمعبود لا بدَّ أن يكون مالكًا للنَّفع والضَّرر"(١).

"وذلك كثيرٌ في القرآن كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾ [يونس:١٨]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٦]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء:٦٦-٦٧]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان:٥٥]، فنفى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن هؤلاء المعبودين من دونه النَّفع والضر القاصر والمتعدي فلا يملكونه لأنفسهم ولا لعابديهم، وهذا في القرآن كثير بيد أنَّ المعبود لا بدَّ أن يكون مالكًا للنَّفع والضر، فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعي خوفًا ورجاءً دعاء العبادة، فعلم أنَّ النَّوعين متلازمان، فكلُّ دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكلُّ دعاء مسألة متضمِّن لدعاء العبادة، وعلى هذا فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، يتناول نوعي الدُّعاء"(٢) -كما سبق-.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٥)، وكذلك في (بدائع الفوائد) (٥١٣/٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٥)، بدائع الفوائد (٥١٣/٣).

ثانيًا: تنوع أساليب الدعاء:

وقد تناولتُ الدُّعاء من حيث معناه الاصطلاحي من محاور:

الأوَّل: ما صُرِّح فيه بمادَّة الدُّعاء.

الثَّاني: ما صُرِّح فيه بمادَّة النِّداء والمراد منها الدُّعاء من حيث معناه الدِّيني.

وأمَّا الثَّالث فهو ما كان دعاءً من المخاطَب باستخدام أداة الخطاب -ظاهرة أو مقدَّرة- لأجلِ تحقيقِ مرغوبٍ فيه، أو دفع مكروهٍ من أُمور الدُّنيا أو أمور الآخرة.

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

المحور الأول: ما صُرِّح فيه بمادَّة الدُّعاء:

أمَّا صُرِّح فيه بمادة الدُّعاء[1] فقد ذكر أهل التَّفسير أنَّه يأتي في القرآن على أوجه:

أحدها: القول: ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إلا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف:٥][2]، ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ [يونس:١٠]، ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ [الأنبياء:١٥].

والثَّاني: العبادة: ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام:٧١][3]، ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾

---

(١) انظر: مادَّة: (دعا) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمَّد فؤاد عبد الباقي من (ص:٣١٦) إلى (٣٢٠).

(٢) وفي (الكشاف): "ويجوز : فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا؛ لأنه لا يستغاثُ من الله عَزَّوَجَلَّ بغيره ، من قولهم: (دعواهم يا لكعب) ". الكشاف (٦٧/٢)، تفسير ابن عادل (١٨/٩)، البحر المحيط (١٣/٥). وفي (مجاز القرآن): "لها موضعان، أحدهما: قولهم ودعواهم، والآخر ادِّعاؤهم". مجاز القرآن (٢١٠/١)، وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وللدَّعوى في كلام العرب وجهان: أحدهما: الدُّعاء، والآخر: الادِّعاء للحقِّ. ومن الدَّعوى التي معناها الدُّعاء قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾..". تفسير الطَّبري (٣٠٣/١٢).

(٣) قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ﴾، أي: أنعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

[يونس:١٠٦][(١)]، ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [القصص:٨٨]، ﴿وَالذين لا يَـدْعُونَ مَـعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨][(٢)]، ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧][(٣)]..

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ [العنكبوت:٤٢][(٤)].

---

(١) قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلا تَدْعُ﴾، أي: ولا تعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ ما لا ينفعك إن أطعته، ولا يضرُّك إن عصيته.

(٢) قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لا يَدْعُونَ﴾، أي: لا يعبدون.

(٣) قيل في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوْلا دُعَاؤُكُمْ﴾، أي: عبادتكم له وحده عَزَّوَجَلَّ، وعلى هذا القول فالخطاب عامٌّ للكافرين والمؤمنين، ثمَّ أفرد الكافرين دون المؤمنين بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.الخ. وقد أجمل ابن جزي في (تفسيره) خلاصة ما قيل من معنى الدُّعاء في الآية حيث قال: "وفي معنى (الدُّعاء) هنا ثلاثة أقوال: الأوَّل: أنَّ المعنى أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يبالي بكم لولا عبادتكم له، فالدُّعاء بمعنى العبادة. وهذا قريب من معنى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. الثَّاني: أنَّ الدُّعاء بمعنى الاستغاثة والسُّؤال، والمعنى لا يبالي الله عَزَّوَجَلَّ بكم، ولكن يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه، ويكون على هذين القولين خطابًا لجميع النَّاس من المؤمنين والكافرين؛ لأنَّ فيهم من يعبد الله عَزَّوَجَلَّ ويدعوه، أو خطابًا للمؤمنين خاصّة؛ لأنهم هم الذين يدعون الله عَزَّوَجَلَّ ويعبدونه، ولكن يضعف هذا بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾. الثَّالث: أنَّه خطاب للكفَّار خاصّة، والمعنى على هذا: ما يعبأ بكم لولا أن يدعوكم إلى دينه، والدُّعاء على هذا بمعنى الأمر بالدُّخول في الدِّين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول، وأمَّا على القول الأوَّل والثَّاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل". تفسير ابن جزي (٨٢/٣).

(٤) وقيل أيضًا في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَدْعُونَ﴾، أي: يعبد المشركون، ﴿مِنْ دُونِـهِ﴾، أي: غير الله عَزَّوَجَلَّ. وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِـنْ دُونِـهِ هُـوَ الْبَاطِـلُ﴾ [الحج:٦٢]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان:٣٠]، فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، أي: الثَّابت، ﴿وَأَنَّ مَا يَـدْعُونَ﴾ -بالياء والتَّاء- يعبدون. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَـقْضِي بِـالْحَقِّ وَالذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ [غافر:٢٠]، فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالذين يَدْعُونَ﴾، أي: يعبدون. وما كان من هذا القبيل، فقد قيل فيه ذلك، نحو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَـدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النِّساء:١١٧]، ﴿وَلا تَسُبُّوا الذين يَدْعُونَ مِـنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١٠٨]، ﴿وَمَـا يَتَّبِـعُ الذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس:٦٦]، ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ التي يَدْعُونَ﴾ [هود:١٠١]، ﴿وَالذين يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِـشَيْءٍ﴾ [غافر:٢٠]، ﴿وَلا يَمْلِكُ الذين يَـدْعُونَ مِـنْ دُونِـهِ الشَّـفَاعَةَ﴾ [الزُّخرف:٨٦].

والثَّالث: النِّداء: ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:٥٢][1]، ﴿وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ [الأنبياء:٤٥][2]، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر:١٤]، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾ [القمر:٦][3]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر:١٠].

والرَّابع: الاستعانة: ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣][4]،

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس:٣٨][5]، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [غافر:٢٦][6].

والخامس: السُّؤال: ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ[7] بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الأعراف:١٣٤]، ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ﴿وَقَالَ الذينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ [غافر:٤٩]، ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ [الزخرف:٤٩].

---

(١) قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾، أي: يناديكم من قبوركم على لسان إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) يعني: الكفَّار الذين هم بمنزلة الصمِّ، ولا يسمعون النِّداء إذا أعرضوا. ونحوه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل:٨٠]، ﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [الروم:٥٢].

(٣) أي: يوم ينادي المناد، يفسِّره قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق:٤١].

(٤) انظر: الإتقان (١/٤١٦).

(٥) قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾، أي: استعينوا بمن شئتم. أو استعينوا بآلهتكم التي تعبدونها من دون الله عَزَّوَجَلَّ، والمعنى: إن كان الأمر -كما تقولون- أنها تستحقُّ العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من أمر محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلا فاعلموا أنَّكم مبطلون في دعواكم أنها إلهة. أو استعينوا بأعوانكم وأربابكم من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

(٦) قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ فيه وجهان: أحدهما: وليسألْ ربَّه؛ فإنَّه لا يجاب. الثَّاني: وليستعنْ به؛ فإنَّه لا يعان. النُّكت والعيون (٥/١٥١)، وكذلك في (تفسير العز بن عبد السَّلام) (١/١٠٢٦).

(٧) أي: سله.

والسَّادس: الاستفهام والاستعلام: ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨]، أي: استفهم(١). ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [الكهف: ٥٢]، أي: استفهموهم أأنتم آلهة؟!.

والسَّابع: العذاب: ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾﴾ [المعارج:١٦– ١٧]، أي: تُعَذِّبُ(٢)"(٣).

الثَّامن: التَّسمية: ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور:٦٣](٤).

التَّاسع: العَرْض: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾ [غافر:٤١]. قيل: أي: أَعرضها عليكم، ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر:٤١]. قيل: أي: تعرضونها عليَّ..(٥).

المحور الثاني: ما صُرِّح فيه بمادة النِّداء والمراد منها الدُّعاء من حيث معناه الاصطلاحي:

فمن ذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء:٧٦]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ [الأنبياء:٨٣]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء:٨٩]، ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ

(١) يعني: هل هي كبيرة أو صغيرة أو متوسّطة؟

(٢) انظر: تفسير البغوي (١٥٣/٥)، تفسير السَّمعاني (٤٧/٦)، وانظر: لسان العرب، مادَّة: (دعا) (٢٦٠/١٤).

(٣) بتصرُّف عن (نزهة الأعين النَّواظر) (ص:٢٩٣ –٢٩٥)، وبصائر ذوي التَّمييز (٦٠٠/٢).

(٤) "ويستعمل أيضًا استعمال التَّسمية نحو: دعوت ابني زيدًا، أي: سمَّيته. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النُّور:٦٣]، حثًّا على تعظيمه صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وذلك مخاطبة لمن يقول: (يا محمَّد)". المفردات، للرَّاغب، مادَّة: (دعا) (ص:٣١٥)، بصائر ذوي التَّمييز (٦٠٠/٢)، وانظر: الإتقان (٤١٦/١)، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٩٤).

(٥) انظر: بصائر ذوى التَّمييز (٢/ ٣٨٩).

نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١]، ﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم:٤٨]. فمن الواضح أنَّ (نادى) هنا بمعنى: (دعا)، وهي من دعاء المخلوق للخالق عَزَّوَجَلَّ.

المحور الثالث: استخدام أداة الخطاب ظاهرة أو مقدَّرة:

وأداة الخطاب المستخدمة في الدُّعاء هي أداة النِّداء (يا) ظاهرة أو مقدَّرة..

وبيان ذلك على النَّحو التَّالي:

أ. ما كانت فيه أداة النِّداء ظاهرة:

وأتناول هنا صيغة: (يا ربِّ)، وقد ورد في (موضعين):

﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠].

﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨].

ب. ما كانت فيه أداة النِّداء مقدَّرة:

وأتناول هنا تصدير الدعاء بالصيغ التالية: (ربِّ)، (ربَّنا)، (اللهمَّ)..

التصدير الأول (رب):

إنَّ تصدير الدُّعاء بـ (رب) فيه من الاستعطاف ما لا يخفى؛ ولذا كثر تصدير الدُّعاء به.

وإنَّ الدُّعاء بتكرير النِّداء ينبئ عن كمال الضَّراعة والابتهال، واستدعاء الإجابة، وفي ذلك إشارة إلى كمال التَّوجُّه إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وعدم الغفلة عنه، مع إظهار كمال الضَّراعة والابتهال إلى معود الإحسان والإفضال.

وأمَّا الآيات فهي على النَّحو التَّالي: [البقرة:١٢٦]، [البقرة:٢٦٠]، [آل عمران:٣٥]، [آل عمران:٣٨]، [آل عمران:٤١]، [آل عمران:٤٧]، [المائدة:٢٥]، [الأعراف:١٥١]، [هود:٤٧]، [يوسف:٣٣]، [يوسف:١٠١]، [إبراهيم:٣٥]، [إبراهيم:٤٠]،

[الحجر:٣٦]، [الإسراء:٢٤]، [الإسراء:٨٠]، [مريم:٦]، [مريم:١٠]، [طه:٢٥]، [طه:١١٤]، [الأنبياء:٨٩]، [الأنبياء:١١٢]، [المؤمنون:٢٦]، [المؤمنون:٢٩]، [المؤمنون:٣٩]، [المؤمنون:٩٤]، [المؤمنون:٩٧]، [المؤمنون:٩٨]، [المؤمنون:٩٩]، [المؤمنون:١١٨]، [الشعراء:٨٣]، [الشعراء:١١٧-١١٨]، [الشعراء: ١٦٩]، [النمل:١٩]، [القصص:١٦]، [القصص:٢١]، [القصص:٢٤]، [العنكبوت:٣٠]، [الصافات:١٠٠]، [ص:٣٥]، [ص:٧٩]، [الأحقاف:١٥]، [المنافقون:١٠]، [التحريم:١١]، [نوح:٢٦]، [نوح:٢٨].

التصدير الثاني ربَّنا:

إنَّ تصدير الدُّعاء بـ (ربنا) من الاستعطاف ما لا يخفى -كسابقه-؛ ولذا كثر تصدير الدُّعاء به، والنِّداء المكرر للمبالغة في الجؤار واستدعاء الإجابة(١).

وأمَّا الآيات فهي على النَّحو التَّالي: [البقرة:١٢٧]، [البقرة:١٢٨]، [البقرة:١٢٩]، [البقرة:٢٠٠]، [البقرة:٢٠١]، [البقرة:٢٥٠]، [البقرة:٢٨٥]، [البقرة:٢٨٦]، [آل عمران:٨] [آل عمران:١٦]، [آل عمران:٥٣]، [آل عمران:١٤٧]، [آل عمران:١٩١]، [آل عمران:١٩٢] [آل عمران:١٩٣]، [آل عمران:١٩٤]، [النساء:٧٥]، [النساء:٧٧]، [المائدة:٨٣]، [المائدة:١١٤]، [الأعراف:٢٣]، [الأعراف:٣٨]، [الأعراف:٤٧]، [الأعراف: ٨٩]، [الأعراف:١٢٦]، [يونس:٨٥]، [يونس:٨٨]، [إبراهيم:٣٧]، [إبراهيم:٤٠]، [إبراهيم:٤١]، [إبراهيم:٤٤]، [الكهف:١٠]، [طه:١٣٤]، [المؤمنون:١٠٦]، [المؤمنون:١٠٧]، [المؤمنون:١٠٩]، [الفرقان:٦٥]، [الفرقان:٧٤]، [القصص:٤٧]، [السجدة:١٢]، [الأحزاب:٦٧]، [الأحزاب:٦٨]، [سبأ:١٩]، [فاطر:٣٧]، [ص:١٦]، [ص:٦١]، [غافر:٧]، [غافر:٨]، [غافر:١١]، [فصلت:٢٩]، [الدخان: ١٢]، [الحشر:١٠]، [الممتحنة:٥]، [التحريم:٨].

وقد تقدم أن كثرة مجيء النداء باسم الرب؛ لأن الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَى هو القائم بأمور العباد وإصلاحها؛ فكان العبد متعلق بمن شأنه التربية والرفق والإحسان.

---

(١) انظر: روح المعاني (٢٤/ ٤٧).

وقد يقدم العبد في مناجاته للرب عَزَّوَجَلَّ الوسيلة بين يدي الطلب(1) كما في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ [آل عمران:١٦]، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ [آل عمران:٥٣]، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران:١٩١]..إلى غير ذلك.

التصدير الثالث: اللهمَّ:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦].

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ [المائدة:١١٤].

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ [الأنفال:٣٢](2).

ومن الملاحظ أنَّ عيسى عَلَيْهِالسَّلَامُ قد جمع في دعاءه بين وصف الله عَزَّوَجَلَّ بالألوهيَّة، ووصفه بالرُّبوبيَّة، حيث ناداه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى مرَّتين، مرّةً بوصف الألوهيَّة الجامعةِ لجميع الكمالات، ومرّةً بوصف الرُّبوبية المُنْبئةِ عن التَّربية، وإظهارا لغاية التَّضرُّع، ومبالغةً في الاستدعاء(3).

ثالثًا: الأهداف والمقاصد:

١ - الدُّعاءُ وسيلةٌ من وسائل الاتِّصال بين المخاطِب -بكسر الطاء المهملة- والمخاطَب -بفتح الطاء المهملة-.

٢ - إنَّ التَّعرُّف على صيغ الدُّعاء في الخطاب القرآني هو من التَّعرف على أسمى صيغه، وأكثرها بلاغة، وأجمعها للمعاني.

٣ - إنَّ صيغ الدُّعاء من جملة صيغ الإنشاء الطَّلبيّ.

---

(١) انظر: الموافقات، للشاطبي (٢٠٣/٤).

(٢) أمَّا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس:١٠]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الزمر:٤٦] فهي تدلُّ على الدُّعاء من حيث مفهومه العامِّ كما تقدم.

(٣) انظر: تفسير أبي السُّعود (١٣٧/٢).

٤ – إنَّ الدُّعاء بمعناه الشَّرعي هو أخصُّ من الدُّعاء من حيث معناه اللُّغوي العام.

٥ – إنَّ إخلاص الدُّعاء لله عَزَّوَجَلَّ فيه الخير العظيم للمخاطَب –بفتح الطاء المهملة–، حيث يشعر بلذَّة القرب والمناجاة، وهي وسيلة من وسائل الظَّفر بالمرغوب، ودفع المكروه..

٦ – قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن قيل: فما فائدة الدُّعَاء مع أنَّ القضاء لا مَرَدَّ لهُ؟ فاعْلَمْ أنَّ من جُمْلَة القضاء: رَدُّ الْبَلاء بالدُّعَاء، فإنَّ الدُّعَاء سَبَب رَدِّ الْبَلاء وَوُجُود الرَّحْمَة، كما أَنَّ الْبَذْر سبب لِخُرُوجِ النَّبَات من الأَرْض، وكما أنَّ التُّرْسَ يَدْفَع السَّهْم كذلك الدُّعَاء يَرُدُّ البلاء..[1].

ولا تتوقَّف فائدة الدُّعاء على ما ذكره الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بل يضاف إليه ما ذكرته هنا من المقاصد، وكونه عبادة وطاعة، وقد أمر به العبدُ.

٧ – لا بدَّ أن يكون الدُّعاء مقرونًا بالتَّضرع والإخفاء، بعيدًا عن الرِّياء كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف:٥٥–٥٦].

وذلكَ أنَّ من فائدة الدُّعاء:

١ – الخوف من العقاب..وهو محفِّز إلى فعل المأمور، واجتناب المحظور.

٢ – الطَّمع في الثَّواب، وهو كذلك محفِّز...

فقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، أي: ادعوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خائفين من عقابه، طامعين في ثوابه. ثمَّ إنَّه بيَّن فائدة الدُّعاء، وعلَّل سبب طلبه، فقال: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ الله قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، أي: إنَّ رحمته قريبةٌ من كلِّ محسِنٍ، وهي أكيدةٌ محقَّقة.

---

(١) انظر ما قاله الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفصَّلًا في (إحياء علوم الدِّين) (٣٢٨/١– ٣٢٩)، وانظر: تفسير الثَّعالبي (١٤٣/١)، (٢١٢/٢)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٤٠/٧).

والجزاء من جنس العلم، فمن أحسن في عبادته نال حُسن الثَّواب، ومن أحسن في الدُّعاء نال خيرًا مما طَلَب.

"إن قلت: قال في أوَّل الآية: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وقال هنا: ﴿وَادْعُوهُ﴾، وهذا هو عطف الشَّيء على نفسه، فما فائدة ذلك؟ قلتُ: الفائدة فيه أنَّ المراد بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: ليكن الدُّعاء مقرونًا بالتَّضرع والإخبات، وقوله: ﴿وادْعُوهُ خَوْفًا وطَمعًا﴾ أنَّ فائدة الدُّعاء أحدُ هذين الأمرين، فكانت الآية الأولى في بيان شرط صحَّة الدُّعاء، والآية الثَّانية في بيان فائدة الدُّعاء. وقيل: معناه: كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرَّجاء في أعمالكم كلِّها، ولا تطمعوا أنكم وفيتم حقَّ الله عَزَّوَجَلَّ في العبادة والدُّعاء، وإن اجتهدتم فيهما.

الثَّانية: في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ الآية، ترجيحٌ للطَّمع على الخوف؛ لأنَّ المؤمن بين الرَّجاء والخوف، ولكنَّه إذا رأى سعة رحمته وسبقها، غلب الرَّجاء عليه"(١).

وليست حالة في الطَّاعات أشرف من حال الدُّعاء؛ لأنَّ الإنسان ربما يُشغل قلبه في جميع العبادات، في الصَّلاة والصَّوم وغيرها، فأمَّا في حالة الدُّعاء فيلزم جوارحه ويضطر إليه، فأيُّ حالة أحسن من هذا؟(٢).

---

(١) تفسير الرَّازي (١٤/٢٨٤)، الخازن (٢/٢١١)، النَّيسابوري (٣/٢٥٨)، البيضاوي (٣/١٦).

(٢) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، للكلاباذي (ص:٢٢٦).